

# صورة النخلة في مُصنّفات الأديب الجّاحِظ

قيس محمّد

Oms\_1990@yahoo.com



الخطباء. وترعرع وطلب العلم في الكُتاب،  
وخالط المسجدين من أهل العلم والأدب،  
فأخذ عنهم. وكان يكتري حوانيت الورّاقين  
ويبيت فيها للمطالعة. على أنّ ضيق ذات يده  
لم يتح له أن ينقطع إلى العلم في أول أمره.  
فقد شوهد يبيع الخبز والسّمك في سيحان-  
نهر بالبصرة- ولعله أفاد من هذه التجارة ما

الأديب العربي البصريّ أبو عمرو بن محبوب  
الكناني، أبو عثمان، الملقب بالجاحظ من أوائل  
المؤلفين الذين أولوا الجوانب الحياتية والشعبية  
الدور الأبرز في مُصنّفاتهِ الموسوعية المعروفة  
كالحيوان، والبيان، والتبيين، والبخلاء،  
والبرصان والعرجان، وغيرها... فالجاحظ  
معلّم العقل والأدب، الذي ندرّ أن أتفق للعربية  
وغير العربية من يماثله سعة اطلاع، وشمول  
أفق، وعمق ثقافة، وجلداً فريداً، وصبراً  
عظيماً على المطالعة والتصنيف، حتى اعتبر  
بحقّ دائرة معارف عصره، بل وغير عصره  
أيضاً. وقد ولد الجاحظ في مدينة البصرة  
سنة ١٥٠ هجرية، وتوفي والده وهو طفل، ولما  
ترعرع تعلم الخط والقراءة في أحد كتاتيبها،  
وأخذ مذ كان يافعاً يتلقى الفصاحة شفاهاً  
عن العرب بالمربّد.

وكان المربّد أشهر مجال البصرة، وبه كانت  
في الإسلام مفاخرات الشعراء ومجالس

ورثته الضيعة التي لا تحتاج إلى إثارة ولا إلى سقي ولا إلى أسحال بإيفار، ولا إلى شرط، ولا تحتاج إلى أكار وذكر نصاً يحدد فيه بعض عمل الأكار، فقال: فإذا صرنا إلى أرض كلف أكاره أن يجسه في محشة له.

### أنواع التمر

يشتهر العراق بوجود ثلاثمائة وستين نوعاً من أنواع التمر فيه أي على عدد أيام السنة الواحدة، وقد عدد الجاحظ أنواعاً كثيرة ومتعددة الألوان والأشكال من التمر، منها الجيسران والهلبيثا والهنسته والبرني والتابجي والسهريير وغيرها، وقد قال: فلم يلبث أن جاءنا بطبق عليه رطب سكر وجيسران أسود فوضعه بين أيدينا، ويذكر النابجي بقوله: وأجمع أهل البحرين أن لهم تمرأ يسمى النابجي، وأن من فضه، وجعله نبيداً، ثم شربه وعليه ثوب أبيض صبغه عرقه حتى كأنه ثوب أحمى، وقال عن السهريير: فلو جئنا بشيء من السهريير والبرني أطعمتهم

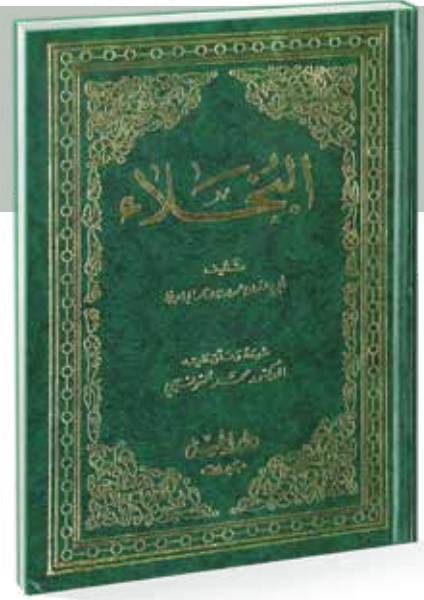
ذوي العاهات، المغنين، أخلاق الشطار، رسالة في القلم، رسالة في كتمان السر، رسالة في الحلية...“.

كما نجد مُصنفات الأديب الجاحظ ابن مدينة البصرة العراقية الحافلة بأجود أنواع التمور وأول مدينة غرست فيها نخلة بعد الفتح الإسلامي أيام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حافلة بذكر التمور والمصطلحات التي ألفها الفلاحون والناس آنذاك. ونقف ها هنا لإضاءة جوانب من صور النخلة في مُصنفات الجاحظ الموسوعية والمتمثلة في “أعذاق، أكار، أنواع التمور، باروكات، بال، برني، بيادر، تبليا، تمر، جُمارة، حلقان، عجوة، فسيل، قفة، قضير، معاصر، ونخل“.

### أعذاق وأكار

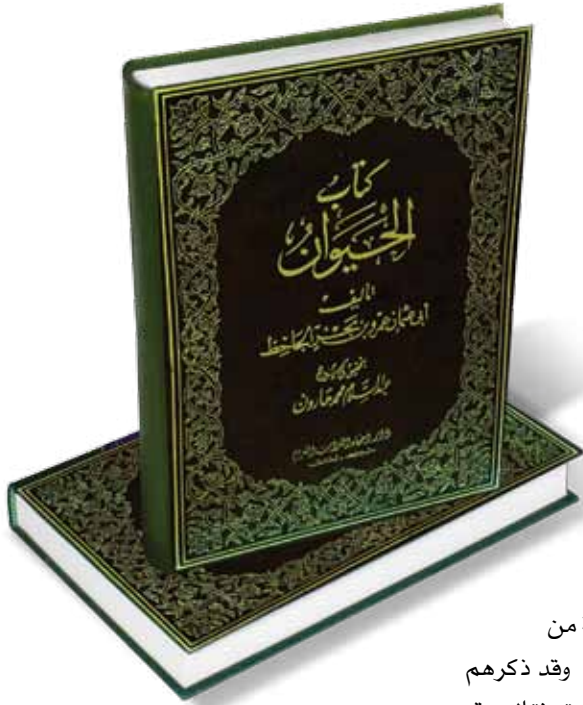
ذكر الجاحظ الأعذاق والعراجين في كتابه البخلاء، وهي من أجزاء النخلة في حديثه عن أحد البخلاء فقال: كان أحمد بن الخاركي بخيلاً نفاعاً، ويشتري الأعذاق العراجين والسعف من الكلاء فإذا جاء به الحمال إلى بابه تركه ساعة يوهم الناس أن له من الأرضين ما يحتمل أن يكون ذلك كله منه. أما “الأكار“ فإنها تتعلق بالمهن حيث وردت هذه اللفظة عند الأديب الجاحظ في نص يوضح لنا مهنة هذا الأكار، فقال: إذا سعد ابن الأكار، إلى نخلة له ليلتقط له رطباً ملاً فاه ماء، وفر لنا كتاب غرائب اللغة العربية لفظة أكار بمعنى حرث وأصلها آرامي، ويساعد

المزارعين في عملهم الزراعي فتة من الأجزاء الذين يحرثون الأرض، وقد ذكرهم الجاحظ بلفظة أكار، والجمع أكرة، فقال: وقد



أغناه بعض الشيء فانصرف يجلس إلى علماء البصرة ويسمع من العرب الخُلص في مرَبَد بالبصرة. وتوفاه الله تعالى في البصرة، حيث فلق في آخر عُمره، سنة ٢٥٥ هجرية، والكتاب على صدره، حيث قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. وعن يزيد النحوي أنه قال: “ما رأيت أحرص على العلم من ثلاثة: الجاحظ، والفتح بن خاقان، وإسماعيل بن اسحق القاضي“.

وقد ترك الجاحظ عبر سني حياته ” ١٥٠-٢٥٥هـ في الكتابة والتأليف الكثير من المصنفات العامة والخاصة من الكتب والرسائل والمجاميع، وسرد لذكرها ياقوت الحموي في “معجم الأدباء“، وهي: “الحيوان، النعل، البيان والتبيين، والنبي والمنتبي، المعرفة، ونظم القرآن، العثمانية، إمامة بني العباس، صياغة الكلام، الفتيان، الجواري، العرجان والبرصان، الترييع والتدوير، الطفيليين، الحاسد والمحسود، البخلاء، النساء، البلدان، الفناء والصنعة، جمهرة الملوك، أمهات الأولاد، التفاح، نقض الطب، الحزم والعزم، عناصر الأدب، النرد، والشطرنج، غش الصناعات،



حمل مبارك لأن ” بر “ بمعنى حمل و ” نى “ بمعنى جيد فعربته العرب وأدخلته في كلامها، قال الإمام السهيلي: وفيه نوع يقال له البردى كما في المصباح، وأدي شير يقول: إن البرنى ضرب من التمر، وهو من أجود أنواع التمر، معرب بارتيك وأصل معناه الحمل الجيد.

### بيادر

كما ذكر الأديب البصري الجاحظ ” البيادر “ في كتابه الحيوان، ضمن حديثه عن الغلال التي تكدر في الأنابير، على شكل بيدروالجمع بيادر، فيصف البيادر قائلاً: وذلك أن التمر يكون مصبواً في بيادر التمر في شق البساتين، جاء في اللسان: البيدر: الاندر، وخص به أندر القمح، يعنى الكدس منه، وبذلك فسره الجوهري، والبيدر الموضع الذي يداس فيه الطعام، وذكر أدي شير أن البيدر الموضع الذي يداس فيه القمح والشعير معرب ” باي در “ ومعناه الرجل الساحقة الدائسة ويحتمل أن يكون معرباً عن السرياني . وذكر الجاحظ لفظة البيدر بقوله: ولو أن رجلاً جلس على بير تمر فائق، وعلى كدس كمثرى منعوت، وعلى مائة قنّوم مصفوف، لم يكن أكله على قدر استطرافه؟

### التبليا

إحدى الأدوات التي أفرد لها الذكر في البخلاء هي ” تبليا “ أو ” التبليّة “ وهي أداة لصعود النخل، ذكرها الجاحظ ضمن الألفاظ الشائعة بين سكان جنوب العراق- وما يزال الاسم مستخدماً في عموم العراق- والتبليا كلمة مأخوذة من الأرامية في لفظها ومعناها المصعد المصنوع من الحبال. وقد ورد ذكرها عند الجاحظ في وصفه لأكار يريد ان يصعد نخلة، فقال: فلما جاء به ونظر إلى النخلة قال: هذه لا تصعد: ولا يرتقى عليها إلا بالتبليا والبرنيد فكيف أرومها أنا بلا سبب؟

### تمر وجُمارة



تستعمل في الزراعة، ذكرها في البيان والتبيين قائلاً: أهل الكوفة يسمون المسحاة بال، وبال بالفارسية، ولفظة بال فسرها أدي شير بمعنى المر معرب بيل، وفي معجم استاينجس لفظة بال من الألفاظ الفارسية الأصل، وهي أداة للزراعة.

بينما تحدث عن ” برنى “ كأحد أصناف: التمر في البخلاء وهو أحمر مشروب بصفرة عذب الحلاوة، ذكره الجاحظ مع أصناف أخرى من التمور مثل الهلبانا والسكر والرطب قائلاً: إنك إذا أطعمتهم اليوم البرنى أطعمتهم البرنى غدا السكر، وبعد غد الهلبانا، ثم يصير ذلك بعد أيام الجع في سائر أيام الأسبوع، ثم يتحول الرطب إلى غداء، وفي شفاء الغليل يفسر الخفاجي معنى هذه اللفظة بقوله: البرنى معناه بالفارسية

غدا السكر، وبعد غد الهلبانا، ويصف الجاحظ هذه الأنواع من التمور بقوله: وإنما من بمنزلة الشامم والتفاح الذي يتهداه الناس بينهم.

### باروكات

ثم قال الجاحظ عن ” باروكات “ في بخلائه: اصبروا على الرطب عند ابتدائه وأوئله، وعن باروكات الفاكهة، الباكور من كل شيء: المعجل المجيء والإدراك، والأنثى باكورة، وباكورة الثمرة منه، والباكورة أول الفاكهة وقد ابتكرت الشيء إذا استوليت على باكورته، وأول كل شيء باكورته، والباكور: هو المبكر السريع الإدراك.

### بال وبرنى

ومن الأدوات التي أشار إليها الأديب الجاحظ في مُصنّفه البيان والتبيين: ” بال “ وهي أداة



### فسيل وقفة

الفسيل جمع فسيلة وهو النخلة الصغيرة، ذكرها الجاحظ في البخلاء قائلاً: وأنت رجل لك في البستان، ورجل في أصحاب الفسيل ورجل في السوق ورجل في الكلاء، بينما عرّف المؤلف "القفة" في كتابه الحيوان بأنها: نوع من الأوعية المصبوغة من الخوص، وسعف النخيل، ذكرها الجاحظ قائلاً: ثم قتل منه حبلاً، ثم عمل منه كهيئة قفة، ثم جعله مدلى بذلك الحبل.

### قفير ومعاصر

القفير عند الجاحظ في البخلاء: وحدة خاصة بالمكايل والوزن يذكر لنا مكايك، وهو القفيز والجمع قفزان، وترد لفظة الجمع بقوله: أنا لا أعرف الأكرار وحساب القفزان.

كان التمر دياتهم ومهورهم، كانوا لا يقولون ساق فلان صداقه. وقال الجاحظ في الحيوان خلال حديثه عن النخيل ذاكراً لفظة جُمارة والجمع جُمّار: وكأنه جمارة رطبة، وقال عن الجمار وهو لب النخلة: ما تخلق من جمار النخلة.

### حلقان وعجوة

من أوصاف الرطب التي ذكرها الأديب الجاحظ في البخلاء، حلقان المنبسة والمنصفة والمعوة بقوله: فذكروا أن أتانا تعناد فترتفع يديها وتعطو بفيها، وتأخذ الحلقان والمنبسة والمنصفة والمعوة، وهو أوصاف للرطوبة قبل أن يتم النضج في البسرة.. وتعني العجوة: التمر المحشي ذكرها الجاحظ في البخلاء بقوله: وقد يأكل الناس ألفت قداحاً والشعير فريكاً، ونوى البسر الأخضر، ونوى العجوة.

تشكل التمور منذ القديم وما تزال ثروة كبيرة في مدينة البصرة، وقد ذكر الجاحظ في البخلاء: أنهم أحصروا أصناف نخل البصرة، فإذا هي ثلاثمائة وستون ضرباً، ترد لفظة تمر في نصوص كثيرة جداً من كتابات الجاحظ خاصة ما ذكره في كتاب البخلاء فقال: مثل بعضهم عن خطوط البلدان في الطعام فقال: ذهبت الروم بالحشو والحسو، وذهبت فارس بالبارد والحلو، ولأهل البدو اللبأ واللأء والجراد والكمأة والخبزة في الرائب والتمر بالزبد. ونص آخر من كتاب البخلاء يقول فيه الجاحظ: كان الأصمعي يقول: قد كان للعرب كلام للعرب كلام على معان، فمن ذلك قول الناس اليوم: ساق إليها صدقها، وإنما كان هذا يقال حين كان الصداق إيلاً وغنماً، وفي قياس قول الأصمعي أن أصحاب التمر، الذين

وتستخدم المعاصر لتحضير عسل التمر، أشار إليها الجاحظ لفظة معاصر ومفردها معصرة وتستعمل لعصر التمر واستخراج الدبس منه قائلًا في الحيوان: وتكون هناك معاصر ولأصحاب المعاصر ظلال، ومن شأن الذباب الفرار من الشمس إلى الظل، وإنما تلك المعاصر بين ثمرة ورطبة، ودبس وتجير، ثم لا تكاد ترى في تلك الظلال والمعاصر في انتصاف النهار ولا في وقت طلب الذبان الكن، إلا دون ما تراه في المنزل الموصوف بقلة الذبان، ويقول أيضاً ذاكراً لفظة المعصرة: وهو ذلك الثمر وتلك المعصرة، ولا تكون تلك المسافة إلا مائة ذراع أو أزيد شيئاً.

### نخل

النخلة ذكرها "شارل بيلات" عن البصرة بلد الجاحظ: البصرة، وما أكثر كلام الجغرافيين عنها، وما بها من بساتين النخيل ومن مزروعات، ومن ثم يصفها بقوله: وأقول الجغرافيين عن مزروعات هذه الجزيرة حيث كان يلجأ الارستقراطيون العاطلون زمن الجاحظ للاستمتاع بالم لذات في دور تحجبها الخضرة، وهناك وصف لمنطقة البصرة للسيدة الفرنسية ديولافوي في "كتابها عن فارس" تقول فيه: ترى المساكن غاصة فجأة في القناة، وتارة على العكس محاطة بصفة ضيقة، وترى القوارب الرشيقة التي تفوق في خفتها الجندولات مشدودة أمام مساكن تعد من أجمل البيوت، لفظة النخل ذكرها الجاحظ بقوله: فكان بعدها يملأ فاه من ماء أصفر أو أخضر، لكيلا يقدر على مثله في رؤوس النخل، وذكر الجاحظ النخلة فقال: وكان عندنا رجل من بني أسد إذا صعد ابن الأكار إلى نخلة له ليلقط رطباً، ملاً فاه ماءً، ويقول الجاحظ ذاكراً لفظة النخلة: في هذه النخلة زوج ورشان، ولهما فرخان مدرجان. وعن صعود النخلة يقول الجاحظ: فطلبوا في الجيران إنساناً يصعد تلك النخلة، فلما جاء

به ونظر إلى النخلة، قال: هذه لا تصعد إلا بالتبليا والبريند.

### المصادر والمراجع

- ١- فوزي عطوي: الجاحظ دائرة معارف عصره، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.
- ٢- محمّد كرد علي: أمراء البيان، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ٢٠٠٠م.
- ٣- بطرس البستاني: أدياء العرب، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.
- ٤- الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة العاشرة، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.
- ٥- ابن النديم: الفهرست، تحقيق ناهدة عباس عثمان، دار قطري بن الفجاءة، الطبعة الأولى، الدوحة، دولة قطر، ١٩٨٥م.
- ٦- ياقوت الحموي: معجم الأدياء، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٩٩١م.
- ٧- ابن النديم: الفهرست، تحقيق ناهدة عباس عثمان، دار قطري بن الفجاءة، الطبعة الأولى، الدوحة، دولة

قطر، ١٩٨٥م.

- ٨- طيبة صالح الشذر: معجم مصطلحات الثقافة بين الجاحظ والتوحيدي، تقديم د. محمود فهمي حجازي، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩-٢٠١٠م.
- ٩- الجاحظ: البغلاء: شرحه وعلق عليه محمّد التونجي، دار الجيل، بيروت، لبنان "د.ت".
- ١٠- الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبدالسلام محمّد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان "د.ت".
- ١١- الجاحظ: البيان والتبيين: تحقيق عبدالسلام محمّد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان "د.ت".
- ١٢- الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام محمّد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان "د.ت".
- ١٣- شارل بيلات: الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٩٨٥م.

